

حول الفقه الاسلامي والفقه الروماني

قرأنا في (الرسالة) الثامنة بعد المائة مقالة الأستاذ محمد حسن البرازي ، في الرد علينا ، فاذا الأستاذ برغم تفوقه على أكثر أقرانه من الشباب الذين درسوا في أوربة بذكاء كان موضع إعجابنا ، قد أخطأ فهم كلامنا ، فأخذ منه بعضاً وترك منه بعضاً . وسجل كلامنا ما لا يحمل ، وأخذ منه عبارة على غير الوجه القبي وضعناها عليه ، ثم لم يدخر وسباً في ردها ، ولم يتورع عن أن يسميها زعماً لا يمكن لما قل أن يزعمه ، وما لم يمكن لما قل يمكن للمجنون . . . فكان الجنون جزاؤنا لأننا لم نذهب الى الأستاذ فنقرأ له كلمتنا كلها ، التي لم يقرأ منها إلا ما فيه الرد علينا ، فكان أمرنا معه كما قال المثل الفقهي :

« زَنَاهُ سَقَدَمٌ . . . »

لا يا أستاذ ! أنا ما قلت : « إن الفقه الروماني جديد لفقه طائفة من العلماء الخ . . . » وسكت ، ولكنني أوردت هذه الجملة في معرض القرض والتقدير ، فقلت (وهذه عبارة بالنص) : « . . . على حين أنه لا يمكن أن يقوم دليل على واحد على أن الفقه الاسلامي مأخوذ من الفقه الروماني ، (وقد علق على هذه الكلمة أستاذنا الجليل الزيات بالتفريق بين الأخذ والتأثر) إلا إذا كان القرآن مترجماً عن لغة الرومان ، وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رومانياً خرج من أبوين عربيين ، والقي تقوله ، (وليتنبه القراء للذي نقوله) إنه إذا كانت هناك علاقة بين الفقهين (إذا كانت) فإن الفقه الروماني هو للقبس عن الفقه الاسلامي ؛ ودليلنا على ذلك أن الفقه الروماني الحاضر جديد لفقه طائفة من العلماء بعد أن اندثر الفقه الروماني القديم ، وهذا الدليل على علاقته (تأمل قولنا على علاقته) أقوى من دليلهم على دعواهم ، فليثبتوا إن استطاعوا أن الفقه الروماني الحاضر هو القديم بذاته ، وليأتونا بالأسانيد الصحيحة ، والروايات المضبوطة ، كما نأتيهم نحن بأسانيد حديثنا ، وروايات سنتنا »

هذه هي الجملة ، وليس معناها يا سيدي أننا نعتقد بأن الفقه الروماني جديد الخ . . . ولم يكن موضوع مقالنا الفقه الروماني ، ولكنها كلمة جاءت عرضاً ، ومعناها أن هذه الدعوى على علاقتها (أي مع اعترافنا بأن فيها شيئاً) أقوى من دليلهم على دعواهم أن الفقه الاسلامي مأخوذ من الروماني ، أي أن دليلهم ليس بشيء مطلقاً ، ما دام دليلنا على هذه الدعوى الثرية أصح منه ، هذا هو المقصد ، وهذا أسلوب من أساليب البيان يفهمه من كان من أهله !

ثم إن هذا كله على فرض أن هناك علاقة بين الفقهين ، ووجود العلاقة هو المقدمة المنطقية اللازمة لهذه النتيجة ، ونحن نكره هذه العلاقة ، والأستاذ قد أنكرها وبيّن أنه لا تشابه في أحكام الفقهين في الأحوال الشخصية الخ . . . فنحن إذن متفقون على إسقاط هذه النتيجة

ولست أقول هذا الآن ، ولكن بقوله كلامي المنشور في (الرسالة) الواحدة والتسعين منذ أربعة أشهر كاملة

فهل يصح للأستاذ أن يقيم القيامة علينا ، ويُرْزَل بنا الأرض ، من أجل هذه الكلمة ؟ . . .

هنا ، وإن في مقال الأستاذ شيئاً عن الموازنة بين رواية الحديث ونقل الفقه الروماني ، قد يفهم منه أن الفقه الروماني أصح سنداً ، وأثبت نقلاً ، لأنه — كما يقول الأستاذ — قد دُون في عصر جامع ومصلحه جوستنيان ، والحديث إنما شرع في تكوينه بعد زهاء قرن ونصف قرن من تاريخ الهجرة ، ولأنه لا دليل على الصحة بعد الوثائق الأثرية ، والنسخ المخطوطة القديمة . فنحن ننبه من قد يفهم منه هذا الأمر بأنه باطل وليس بشيء

ونحن نكرر وصية الأستاذ (الشاب) لشبابنا ألا يكونوا أسرى عواطفهم من تعصب للدين والقومية (وزيد : أو تعصب عليهما) ، وكره لأوربية والثقافة الغربية (وزيد : أو موت في عشقهما) فيسرفوا في القول حتى يجانبوا المنطق

ونسأل الله أن يُرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه . ونشكر للأستاذ الفاضل جهده وفضله ما

على الطنطاوي